

## الحجاب بين الأديان والعلمانية

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٥ .  
ونشر في ثلاثة أجزاء بمجلة : رسالة المعرفة ، السنة الثالثة عشرة ، العددين  
الثاني والثالث، ٢٠٠٥ والسنة الرابعة عشر ، العددين الأول والثاني ، ٢٠٠٦ ،  
إصدار مركز تنمية البحوث ، القاهرة .

تعد هذه الدراسة من أولى الدراسات التي تبحث في علاقة العلمانية بحجاب المرأة  
المسلمة حيث تتضمن أسسًا منهجية وتحليلية لمفهوم الحجاب في الأديان القديمة والديانات  
التوحيدية اليهودية والمسيحية والإسلام ، وارتباط الحجاب حديثًا بمناهضته للمبادئ  
العلمانية .

وتنطلق فكرة الدراسة من الجدل المثار حول حجاب المرأة المسلمة في مدى قبوله  
أو حظره حيث تحول إلى قضية عالمية نظرًا لإثارة مشكلة الحجاب في فرنسا وغيرها من  
الدول الغربية مثل ألمانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا وغيرها .

وقد تناولت الدراسة كيفية مواجهة أزمة الحجاب في الغرب وفي بعض البلاد  
الإسلامية مثل تركيا ، تلك الدول التي قررت حظره في المؤسسات الحكومية والجامعات  
الأكاديمية واتهامه بأنه رمز لتفشي المسلمين وتنامي الإسلام الأصولي بجانب تأثيره السلبي  
على سياسات الدول العلمانية ، وادعاء الغرب أن الحجاب هو شكل من أشكال التمييز وأنه  
يشكل خطرًا سياسيًا وتهديدًا لقيم العلمانية الأوروبية.

وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أجزاء يشتمل الجزء الأول على التعريف بحجاب  
وتستر المرأة في المعتقدات القديمة ، والجزء الثاني يشتمل على قوانين الاحتشام في  
اليهودية والمسيحية والإسلام ، والجزء الثالث يتضمن علاقة الحجاب بالعلمانية باتخاذ  
العلمانية في تركيا نموذجًا وقضية الحجاب المثارة في الغرب .

وتهدف الدراسة إلى تأكيد اتفاق الأديان في ضرورة تحشم المرأة وتسترها ، سواء  
في اليهودية أو المسيحية أو الإسلام موثقًا بالنصوص والأحكام الواردة في الكتابات المقدسة  
التوراة والإنجيل والقرآن والسنة المحمدية .

ففى الشريعة اليهودية ورد أنه ليس من السلوك القويم لبناات إسرائيل أن يمشين وهن مكشوفات الرأس ، كما ورد أن كشف المرأة رأسها هو بمثابة تحقير لها . وتلزم الشريعة اليهودية المرأة المتزوجة بوضع غطاء على رأسها حتى يبتعد عنها الأجنبي . وفى المسيحية ورد فى رسالة بولس لأهل كورنثوس "كل امرأة تصلى أو تتنبا ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمخلوقة شئ واحد بعينه" .

ومعنى العبارة فى تفسيرات اللاهوتيين المسيحيين والشرح للإنجيل أن المرأة التى بلا غطاء لابد أن تستحى كاستحيائها من أن تقص شعرها أو تحلقه ، أى أنها فى هذه الحالة يلحقها من العار ما يلحقها لو كان رأسها مخلوقاً .

وتهدف الدراسة إلى تخفيف حدة الصراع حول الحجاب بما يحقق الأمن والاستقرار والحرية الشخصية للمرأة حتى تحقق الاندماج اللازم لها داخل المجتمعات التى تعيش فيها ، سواء كانت مجتمعات مسلمة أو غير مسلمة .

وتأتى أهمية الدراسة فى محاولتها معالجة قضية الحجاب على المستوى الدولى خارج حدود العالم الإسلامى ، ببذل الجهود اللازمة والملحة لتصحيح المفاهيم الخاطئة التى تعلقت بالحجاب فى الغرب ، الأمر الذى يتطلب جهوداً فى مجالات الإعلام ووسائل الاتصال . و للدراسة أهميتها أيضاً على المستوى الاجتماعى فى تأكيد الدور الفاعل للمرأة المسلمة فى المجتمعات على المستويات المحلية والدولية مع عدم تعارض هذا الدور مع مظهرها الخارجى المحتشم .

وتطالب الدراسة بضرورة رفع قرار الحظر عن الحجاب باعتباره مناقضاً لمبدأ حرية العقيدة واحترام حقوق الإنسان ، خاصة إذا كان من مبادئ العلمانية احترام حق الإنسان فى الحياة والمعتقد .

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر أصلية فى اليهودية باللغة العبرية ومصادر مسيحية وأخرى تركية إلى جانب المصادر العربية الأصلية .

وبإيجاز يمكن القول ان هذا البحث توصل إلى نتائج جوهرية يمكن أن نحددها فى

نقاط من أهم ملامحها :

- ١- أثبتت الدراسة فرض غطاء لرأس المرأة وضرورة احتشامها فى الكتب التشريعية اليهودية فى التوراة والتلمود وفى كتابات الحاخامات والمشرعين اليهود من خلال النصوص الموثقة.
  - ٢- أكدت الدراسة أن الديانة المسيحية من خلال النصوص الواردة فى الإنجيل تؤكد فرضية تحشم المرأة وعفتها وأن غطاء رأسها يمثل مجدها .
  - ٣- إن مسألة حظر ارتداء حجاب أو غطاء الرأس باعتباره مناهضاً لمبادئ العلمانية يدخل فى محظور تحريم حقوق الإنسان الشخصية وحرية العقيدة .
  - ٤- أثبتت الدراسة إقرار الدول الأوروبية برفض اقتراح قانون يمنع الحجاب على المسلمة وفى حالة منعه فيجب فرضه على الفتيات الكاثوليك والبروتستانت اللاتي ترتدين زياً دينياً خاصاً بهن .
  - ٥- إن الزى الإسلامى ليس رمزاً دينياً ؛ لأن الرمز ليس له وظيفة يؤديها غير الإعلان والشعار فالصليب رمز للمسيحى ، والقلنسوة رمز لليهودى ، وكل منهما لا يقوم بوظيفة ، أما الحجاب فهو يؤدي وظيفة الستر والاحتشام للمرأة .
  - ٦- أكدت الدراسة أنه لا يجوز لأى قانون أن يمنع إنساناً من تغيير عقيدته ودينه ، والحجاب عند المسلمة عقيدة .
  - ٧- أثبتت الدراسة أن تستر المرأة وحشمتها ليس حائلاً لأداء فعاليتها فى المجتمع ، بل هو دافع يمنحها الثقة فى نفسها بهدف مشاركة المجتمع والإسهام فى تطوره ونمائه .
  - ٨- تدعو الدراسة إلى ضرورة عقد المؤتمرات العالمية الخاصة بحوار الأديان والتي تثبت أن الحجاب للمرأة وسلوكياته من حيث حشمة المظهر ، وغض البصر ، وآداب التحدث ، وعدم التبرج والنهى عن اختلاء المرأة بالرجل ، كلها سلوكيات محددة وواجبة فى كافة الأديان .
- وبهذا يكون البحث قد حقق هدفه ، حيث إن النتائج التى توصل إليها - بعد الخطوات المنهجية للدراسة - قد أسهمت بقدر متواضع من وجهه نظر الباحثة فى إضافة جديدة فى التراكم المعرفى للدراسات الإنسانية خاصة مجال الأديان .

كما أكدت الدراسة أن الحجاب وما يستتبعه من سلوكيات تفرض على المرأة منصوص عليها في كافة الأديان السماوية ؛ لذا فهي نقطة التقاء في حوار الأديان على المستوى العالمي .

وقد تم اختيار الكتاب بين أفضل الكتب العلمية المنشورة لعام ٢٠٠٥ . كما تناولت هذه الدراسة كثير من المجالات والصحف المنشورة .